العصبية القبلية [١]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَثَّنَا عَلَى الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ ذَا الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَعَاذَ عِبَادَهُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ وَالْجِنَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَائِدُ الْمُؤْمِنِينَ وَدَلِيلُ الْأُمَّةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي السَّرَّاءِ وَالْمُلِمَّةِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَبِتَقْوَى اللَّهِ يَجْتَمِعُ مَا تَفَرَّقَ، وَيَصْلُحُ مَا فَسَدَ، وَيُرْفَعُ مَا سَقَطَ، وَيَنْكَشِفُ الْكَرْبُ، وَتُكْتَسَبُ الْوِلَايَةُ، **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ الَّتِي امْتَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ أَنْ جَعَلَهُمْ مُسْلِمِينَ، وَبِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ؛ وَقَدْ كَانُوا قَبْلُ أَوْزَاعًا مُتَفَرِّقِينَ، وَقَبَائِلَ مُتَنَاحِرَةً فَجَاءَ الْإِسْلَامُ فَجَمَعَ الشَّتَاتَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَوَحَّدَ الْكَلِمَةَ تَحْتَ رَابِطَةِ الْعَقِيدَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾**.

لَقَدْ جَاءَ هَذَا الدِّينُ الْحَنِيفُ لِيَقْضِيَ عَلَى مَظَاهِرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالطَّائِفِيَّةِ وَالتَّحَزُّبِ، فَمَحَا فَوَارِقَ الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ، وَوَضَعَ مِيزَانًا عَادِلًا عُنْوَانُهُ التَّقْوَى. قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**. إِنَّهُ تَعَارُفٌ يَدْفَعُ التَّنَاكُرَ، وَتَآلُفٌ يَمْنَعُ التَّخَالُفَ؛ لِيَكُونَ الْمُسْلِمُونَ فِي أُخُوَّتِهِمْ أَكْفَاءً، أَبُوهُمْ آدَمُ وَأُمُّهُمْ حَوَّاءُ، فَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ.

وَشَرَعَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي أَحْكَامِهِ مَا تُسْتَوْثَقُ بِهِ عُرَاهُمْ، وَيَجْمَعُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ، وَيَنْفِي الْعَصَبِيَّةَ وَالْعُبِّيَّةَ عَنْهُمْ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ.

(١) للشيخ محمد السبر https://t.me/alsaberm

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: تَأَمَّلُوا فِي سِيرَةِ نَبِيِّكُمُ ﷺ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ هُوَ الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، لِيَصْهَرَ شَتَاتَ الْقَبَائِلِ فِي بُوتَقَةِ الْإِيمَانِ وَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ؛ فَقَدْ ظَلَّتِ الْحَرْبُ مُسْتَعِرَةً بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مِائَةً وَعِشْرِينَ عَامًا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَزَالَ لَوْثَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَصْبَحَ الْجَمِيعُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا. وَلَمَّا خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَنْصَارِ بِشَأْنِ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ ذَكَّرَهُمْ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللَّهُ بِي؟**». كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَحَتَّى لَا تَتَأَثَّرَ وَحْدَةُ الصَّفِّ، أَوْ يَخْتَلَّ مِيزَانُ الِاجْتِمَاعِ، أَبْطَلَ النَّبِيُّ ﷺ دَعَاوَى الْجَاهِلِيَّةِ كَافَّةً، فَقَالَ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ: «**أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ ذَمَّ الْإِسْلَامُ الْعَصَبِيَّةَ الْقَبَلِيَّةَ وَالْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾. وَلَمَّا عَيَّرَ أَبُو ذَرٍّ رَجُلًا بِأُمِّهِ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَوَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ دَعْوَى الْعَصَبِيَّةِ بِأَقْبَحِ وَصْفٍ حِينَمَا تَنَازَعَ رَجُلَانِ فِي الْغَزَاةِ، فَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ! وَنَادَى الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟! دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، فَالْعَصَبِيَّةُ الْقَبَلِيَّةُ مُنْتِنَةٌ خَبِيثَةٌ، وَدَاءٌ عُضَالٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ، وَتُوقِدُ نَارَ الْأَحْقَادِ وَالضَّغَائِنِ، وَتُعْمِي الْبَصِيرَةَ، وَتَدْفَعُ إِلَى نَصْرَةِ الْبَاطِلِ وَظُلْمِ الْعِبَادِ وَبَخْسِ الْحُقُوقِ.

وَالْإِسْلَامُ بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ دَعْوَةٍ تَنْفُخُ فِي كِيرِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ تَسْعَى لِإِحْيَاءِ النَّعَرَاتِ الْمَيِّتَةِ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا نُورُ التَّوْحِيدِ، قَالَ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَالَ ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ**

يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً؛ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ شَيْخ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "مَنْ تَعَصَّبَ لِأَهْلِ بَلْدَتِهِ، أَوْ مَذْهَبِهِ، أَوْ طَرِيقَتِهِ، أَوْ قَرَابَتِهِ، أَوْ قَبِيلَتِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ، كَانَتْ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ".

إِنَّ الرَّوَابِطَ الْقَبَلِيَّةَ وَالْأُسَرِيَّةَ لَمْ تُشْرَعْ إِلَّا لِلتَّعَارُفِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَلَا مَكَانَ فِيهَا لِلتَّعَالِي؛ فَلَا تَفَاضُلَ إِلَّا بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ قَالَ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»** وَقال **«مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»** رَوَاهُمَا مُسْلِمٌ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ: نِعْمَةَ التَّآلُفِ وَالِاجْتِمَاعِ، وَالِالْتِفَافِ حَوْلَ وُلَاةِ أَمْرِنَا، فِي ظِلِّ شَرِيعَةٍ سَمْحَةٍ نَبَذَتِ النَّعَرَاتِ الْقَبَلِيَّةَ الْمَذْمُومَةَ؛ حَيْثُ حَرِصَ حُكَّامُ هَذِهِ الْبِلَادِ مُنْذُ عَهْدِ الْمَلِكِ عَبْدِالْعَزِيزِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَحَتَّى عَهْدِ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَوَلِيِّ عَهْدِهِ الْأَمِينِ -حَفِظَهُمَا اللَّهُ- مِنْ عِنَايَةٍ بِتَعْمِيقِ الْمُوَاطَنَةِ وَالْمُسَاوَاةِ، مِنْ خِلَالِ تَطْبِيقِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَوَضْعِ الْأَنْظِمَةِ الَّتِي تُحِقُّ الْحَقَّ، وَتَضْمَنُ الْعَدَالَةَ وَالْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْجَمِيعِ، دُونَ تَمْيِيزٍ أَوْ تَمَايُزٍ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْإِخْلَاصِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ مِنْ مَسَالِكِ الشَّيْطَانِ: التَّحْرِيشَ وَإِثَارَةَ النَّعَرَاتِ وَالضَّغَائِنِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»**. وَإِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ هَذَا التَّحْرِيشِ الْخَطِيرِ مَا نَشْهَدُهُ فِي الْفَضَاءِ الرَّقْمِيِّ، وَمِنَصَّاتِ التَّوَاصُلِ؛ حَيْثُ تَظْهَرُ حِسَابَاتٌ مُضَلِّلَةٌ تَنْتَحِلُ أَسْمَاءَ قَبَائِلَ وَعَائِلَاتٍ، يَسْعَى وَرَاءَهَا مُغْرِضُونَ وَأَعْدَاءٌ مُتَرَبِّصُونَ لِإِشْعَالِ الْفِتَنِ، وَنَبْشِ ثَارَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالِانْتِقَاصِ مِنَ الْآخَرِينَ وَالتَّنَابُزِ بِالْأَلْقَابِ، بِهَدَفِ تَفْكِيكِ اللُّحْمَةِ الْوَطَنِيَّةِ، وَضَرْبِ النَّسِيجِ الِاجْتِمَاعِيِّ.

فَلْنكُنْ جَمِيعاً يداً وَاحِدَةً لِحِمَايَةِ وَطَنِنَا، وَنَبْذِ كُلِّ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَ لُحْمَتِنَا وَاسْتِقْرَارِنَا؛ فَإِنَّ الْوَاجِبَ الشَّرْعِيَّ يُحَتِّمُ الْحَذَرَ وَالتَّحْذِيرَ مِنَ

الِانْسِيَاقِ خَلْفَ الْحِسَابَاتِ الْمَشْبُوهَةِ؛ لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَطَنِ تَكْمُنُ فِي وَحْدَةِ صَفِّهِ وَائْتِلَافِ قُلُوبِ أَبْنَائِهِ. فَاحْذَرُوا -عِبَادَ اللَّهِ- دَعَاوَى الْمُرْجِفِينَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً، وَاجْعَلُوا أُخُوَّتَكُمُ الْإِيمَانِيَّةَ فَوْقَ كُلِّ اعْتِبَارٍ. **اللَّهُمَّ** أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطبةُ الثَّانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى. أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- حَقَّ التَّقْوَى؛ فَإِنَّ الِاعْتِصَامَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ هُوَ حِصْنُ الْأُمَّةِ الْحَصِينُ لِجَمْعِ الْكَلِمَةِ وَلَمِّ الشَّمْلِ، بِهِ تَتَحَقَّقُ النَّجَاةُ مِنَ الزَّيْغِ، وَتُسْقَطُ الرَّايَاتُ الزَّائِفَةُ، وَيُنْدَحَرُ كَيْدُ الْأَعْدَاءِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، وَارْضَ عَنْ أَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. **اللَّهُمَّ** أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ. **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ. **اللَّهُمَّ** احفظ بِلادَنَا، وَأَدِمْ عَلَيْها نِعْمَةَ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ. **اللَّهُمَّ** وَفِّقْ خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ الْمَلِكَ سَلْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ الْأَمِيرَ مُحَمَّدَ بْنَ سَلْمَانَ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. **اللَّهُمَّ** انْصُرْ جُنُودَنَا الْمُرَابِطِينَ عَلَى الْحُدُودِ وَالثُّغُورِ، وَسَدِّدْ رَمْيَهُمْ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ، وَرُدَّهُمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ، يَا قَوِيُّ يَا عَزِيزُ. **اللَّهُمَّ** احْفَظِ الْيَمَنَ وَالْيَمَنِيِّينَ مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ وَعُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ، وَانْصُرِ الْقُوَّاتِ الْيَمَنِيَّةَ، وَأَمِدَّهُمْ بِالثَّبَاتِ وَالتَّمْكِينِ، وَوَحِّدْ صَفَّهُمْ فِي مُوَاجَهَةِ عَدُوِّهِمْ، وَاخْذُلِ الْمِلِيشِيَّاتِ الْحُوثِيَّةَ الْإِرْهَابِيَّةَ، وَاقْطَعْ شَرَّهَا وَعُدْوَانَهَا، وَأَعِدِ الْيَمَنَ عَزِيزاً شَامِخاً مُزْدَهِراً، آمِناً مُطْمَئِنّاً.

عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا؛ وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.